

الثورة الجزائرية من خلال مجلة العربي (1958-1962)

أ. محمد الشريف حسين*

مقدمة: مجلة العربي الكويتية هي مجلة ثقافية وعلمية ترأسها الدكتور العالم أحمد زكي، وكان صدورها شهريا عن وزارة الثقافة في دولة الكويت، أنشئت في شهر جمادى الأولى 1378هـ/ديسمبر 1958م أين كانت البلاد العربية في جهادها التحرري وتحقيق الاستقلال بعدما عرفت الخنوع والخضوع لدول الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي، كما واكبت حركات التحرر العالمية وأدلت بدلوها⁽¹⁾، وعرفت قراءها العرب بقضايا أمتهم والشعوب الإسلامية في آسيا وأفريقيا وحتى في أوروبا وأمريكا، ومن خلالها عرف العرب نضال وجهاد الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي الجاثم على بلاد المغرب العربي ولا سيما الجزائر نضالا وجهادا واستقلالا وبناء وتشيدا، مخلدة جهاد الشهداء ومعرفة ببعض رجاله، ومشيقة بالتضحيات الجسيمة التي تكبدها الشعب الجزائري على مدى عقود من التاريخ، ولم تكن التحقيقات بالقلم فحسب بل كانت بالصورة والقلم ملخصة مراحل الجهاد البطولي، ومعرفة بوطن الثوار الأحرار الذين لم تنكسر شوكتهم أمام جحافل الاستعمار الفرنسي الذي اضطر مرغما على منح الجزائريين حريتهم واستقلالهم بعد معارك حاسمة، أخلص فيها المجاهدون، ولتي فيها الشعب الدعوة إلى التحرر مشاركا في الدعم والتطوع والبذل والتضحية.

كما عرفت المثقف العربي بحركات التحرر العالمية، وجعلت صفحاتها زاخرة بالمعارف والعلوم الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وكانت يحق موسوعة معارف، وبعد وفاة رئيس تحريرها المرحوم الدكتور أحمد زكي عام 1975⁽²⁾ تعاقب على رئاسة التحرير عدد من أصحاب الشهادات العلمية العالية كالدكتور أحمد بهاء الدين⁽³⁾، والدكتور محمد غانم الرميحي⁽⁴⁾، والدكتور سليمان إبراهيم العسكري⁽⁵⁾، وما زالت ماضية في تقديم المعارف والثقافة إلى يومنا هذا.

وما مجلة العربي إلا ابنة الكويت العربي الأشم، والتي استطاعت بحكمة وعلم ومعرفة رؤساء تحريرها أن تجعل المواطنين العرب في مشرق العالم العربي ومغربه يتلهفون بشوق لشرائها، والاطلاع على ما فيها من أنباء علمية ودينية وثقافية ومراسلات وتحقيقات قل أن نجد لها مثيلا في العالم العربي، وهي ما زالت ماضية في رسالتها وانتشارها يشارك فيها خيرة علماء الأمة وفقهائها وأفاضلها.⁽⁶⁾

* - أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - جامعة محمد بوضياف - المسيلة.

إذا كانت ثورة الجزائر قد هزّت الضمير العالمي فمن باب أولى أن هزّ عالمنا العربي ومفكره، وهذا هي مجلة "العربي" الكويتية ترفع صوّتها، وترسل مراسيلها إلى الجزائر الثائرة للوقوف على حقائق ثورتها إلى أن انتزعت الجزائر سيادتها بعدما خضعت فرنسا إلى مطالب المجاهدين الأحرار الذين أبلوا البلاء الحسن في ضرب جيوشها الجوّارة ضربات موجعة مؤلّة، وأقلقوا مضاجع المستعمرين، وأجبروهم على ترك كلّ شيء ليسلموا بأنفسهم من نار الثورة العارمة التي بعد 132 عاما من الاستعمار الاستيطاني الذي لم يهنأ ولم ينعم بالإبقاء على الجزائر تحت الهيمنة والسيطرة الفرنسية.

فها هي تشيد بزيارة فرحات عباس رجل النضال الجزائري إلى الكويت، وتغدق حكومتها على الثائرين بالعطاء المشكور مُعبّرة عن احترامها وتقديرها للمجاهدين، مُزيّنة صفحتها بصورة المجاهدين ورجالاتهم، ناقلة الصفحات المضنيّة من حياة الثورة التي كانت وما زالت شاخصة في عيون العرب وغيرهم، وكيف فرضت حكومة الجزائر المؤقتة إدارتها على الزعامة الفرنسية وسياسيّها، وأجبرتهم على المفاوضة التي تكلّلت باتفاقية إيفيان يوم 19 مارس 1962م، ونقلت للعرب صفحات من همجية وتعذيب المجاهدين على أيدي ضباط الجيش الفرنسي، وشوّعت سمعة فرنسا في العالم الأمر الذي جعل بعض مفكري فرنسا يحتجون على ما تقوم به ضدّ أحرار الجزائر الذين يطالبون بالحرية والاستقلال مُهيّين بدولتهم إلى قبول المطالب والخروج من الجزائر.

وقد انتقل مندوب مجلة العربي إلى أماكن تواجد قوات جيش التحرير الجزائري، ونقل صورا للمجاهدات وخدامتهم، وأشاد بالمجاهدة جميلة بوحيرد ونضالها كامرأة عربية حرة.

على أن رئيس تحرير مجلة "العربي" الدكتور أحمد زكي قد كشف للعرب عن المراحل التي مرّت بها قضية الجزائر بدءاً من العهد العثماني إلى قصّة حاكم الجزائر مع قنصل فرنسا وإهانتته؛ ثم إلى الاحتلال وما عاناه الجزائريون من فقر وتشريد، واستيلاء على الأراضي الزراعية وتقديمها للمعمرين إلى أن أذن الله بانطلاق الثورة التحريرية المباركة التي آتت أكلها وحققت مطالبها ذاكرة جهود الزعيم مصالي الحاج في إنشاء المنظمة السرية (O.S) التي كان لها الأثر البالغ في نشوب الثورة المنظمة مؤكداً تلاحم سكان البلاد الأصليين مع الثورة الظافرة.

ونقل إلى قراء مجلة "العربي" التحقيق الصحفي الذي تمّ مع أول رئيس للبلاد السيد أحمد بن بلّة وانطباعاته وآرائه وأفكاره عن جزائر المستقبل، وما تتطلبه الأوضاع من جهود المناضلين وسهر العاملين لتحقيق أهداف الاستقلال وبناء الوطن معترفاً بأن الطريق شاقّة وغير مفروشة بالورود والرياحين، ورغبته وأمله بأن يعيش الفلاحون الجزائريون حياة كريمة كأخوانهم المواطنين الآخرين مبدياً رغبته في أن يكون للصناعة الجزائرية وجودها.

وفي استطلاع مصور عقب الاستقلال أعلن الكاتب عن دخول الجزائر المرحلة الثامنة⁽⁷⁾ من أوسع أبواب التاريخ كدولة مغربية جديدة المولد بعد عهود من الظلم والاستبداد وسوء المعاملة وفرض السيطرة وتقييد

التحرك، وتحريم دخول بعض المناطق للسكانين الأوروبيين، وكيف زالت تلك الصور البشعة لسوء المعاملة والقسوة ونظرة التعالي، مُشيدا بدور المرأة الجزائرية في حرب التحرير وفي عهد الاستقلال، مُعربا عن تفاؤله في إيصال الجزائر إلى مطامحها وأهدافها في نشر العدالة وتحقيق التطور على جميع مستويات العمل والبناء والتشييد على أيدي المخلصين، خاتما المقال والاستطلاع المصور بقصيدة وزير الثقافة الكويتي أحمد السقاف الذي عبّر عن فرحته وفرحة العرب باستقلال الجزائر.

تلك هي خلاصة موجزة لما قامت به مجلة العربي من تحقيقات مصوّرة عن الجزائر ثورة وثوارا مجلة الحقائق، مُعبّرة عن الفرحة العارمة التي شملت البلاد العربية بالنصر المؤزر وتحقيق الاستقلال، وكاشفة ومعربة ادّعاءات جنرالات فرنسا وسياسيها كما يتجلى ذلك في الصفحات الموالية.

ناقلة للقراء إدعاءات ومزاعم جنرالات فرنسا وسياسيها: الجنرال كاتزو حاكم الجزائر عام 1942 الذي قال: إن "استقلال الجزائر لا يمكن أن يدخل إلى عقلي لحظة واحدة، وأحداث الاضطرابات من أجله لا يمكن أن أقبله أبدا".

وهذا منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا عام 1954 يقول: "إنّ المديرية الجزائرية جزء لا يتجزأ من فرنسا، وانفصال الجزائر عن فرنسا لا يمكن أن يتصوره أحد، وهذا أمر يجب أن يكون واضحا لكل إنسان في كلّ زمان".

وبأي من بعدها رئيس وزراء فرنسا عام 1956 (قي موليه) ليصرّح قائلا: "إنّ فرنسا لا يمكن أن تخرج من الجزائر أبدا".

ويليه روني كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية عام 1957 ليقول: "لا يمكن أن ينتظر منا أحد أن نضحّي بالآزاس ولورين أخرى في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط".⁽⁸⁾

أما الرئيس دي غول فقد قال في مايو 1958: "إنّ من السخف ومن المؤسف أن نقطع الآن ما بين فرنسا والجزائر".

ويعيد الكرة فيقول في مايو 1959: "جزائر بابا جزائر الأمس قد ماتت، والذين لا يفهمون هذا سوف يدفنون معها".

ثمّ يستأنف الكلام في يناير 1960 ليعترف بحق تقرير المصير للجزائريين فيقول: "تقرير الجزائريين لمصيرهم بأنفسهم هو المسلك الواحد الجدير بساسة فرنسا أن يتنصّوه".

وفي يونيو 1960 يخاطب الجزائريين قائلا: "إنّ فرنسا تقول للجزائر إنّ الجزائر جزائركم، فدعونا نتفاوض، وكلّ الذي نرجو منكم أن تتركوا سكاكينم عند الباب".

وفي صيف عام 1961 يذعن فيقول: "إنّ فرنسا توافق بدون شرط على أن يؤلّف سكان الجزائر دولة كاملة الاستقلال".

وينتهي تصريحاته عام 1962 بالقول: "يتم الاتفاق، ويعلن وقف إطلاق النار".⁽⁹⁾

هذه هي التصريحات التي نشرتها مجلة العربي صفحة 13 من العدد الثاني والأربعون، والتي يتمثل فيها التعتن المذل الذي انحدرت وثاوت فيه التصريحات إلى أرضية الحق، والتسليم بمطالب شعب دفع أكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء الأبرار الخالدين في جنات رب العالمين ينعمون برحمته الواسعة جزاء ما ضحوا به وقدموا الأرواح رخيصة مقابل ثمن عزيز على كل مواطن جزائري ألا هو الاستقلال والحرية.

وفي موضوع الجزائر تناولت المجلة موضوعا تحت عنوان "قصة التعذيب في الجزائر"، وذكر فيه الدكتور محمود السمرة ما يدور في فرنسا من صراع بين رجال الفكر الفرنسيين والفئة الواعية منهم خصوصا وبين الحكومة الفرنسية، والذين يرون أن الحرب ضد الجزائريين غير عادلة، وأنه من الواجب ترك الجزائريين يقررون مصيرهم بأيديهم وأنفسهم، وأن لا داعي للتعذيب الذي يتعرض له المواطنون على رأي السيد "هنري آلاق" رئيس تحرير جريدة في الجزائر الذي كشف عن أساليب التعذيب التي لا تخطر على بال، والتي أودت بحياة العديد من الأبطال. والذي قال: إن التعذيب على أيدي الجلادين والطغاة أمر مرفوض، وأن من حق المجندين الفرنسيين الذين يرفضون الذهاب إلى الجزائر أن يعلنوا امتناعهم ورفضهم الزج بهم في أتون معركة ليست في صالح فرنسا. وبلغ من حقد الحكومة الفرنسية وعنجهيتها أن منعت تداول هذا الكتاب، وهذا الموقف كان هو الأول في تاريخ فرنسا التي عرفت بثورتها العارمة على الظلم والجور والتسلط. ومن تعليقات الصحف الفرنسية على هذا الكتاب ما ذكرته صحيفة لوموند "إن ميزة الكتاب الأول، الاتزان والصدق في القول دون محاولة استشارة العواطف افتعالا".

وقال الكاتب الشهير فرانسوا مورياك: "في هذا الكتاب وصف دقيق لكل ما يزعجنا في حرب الجزائر، وكل ما فيه يصم فرنسا بالعار والتدني والتخلي عن كل ما نادى به من قيم".⁽¹⁰⁾ ولدى اطلاع مشاهير كتاب فرنسا على هذا الكتاب وهم: أندريه مالرو وروجر مارتن دوجارد وفرانسوا مورياك وجان بول سارتر، رفعوا عريضة احتجاج للحكومة الفرنسية ضد الوحشية التي تعامل بها أصحاب المطالب الوطنية رافضين مصادرة الكتاب ووضع حد للجرائم المرتكبة.

ومن العدل والإنصاف أن نذكر ما كتبه جان بول سارتر في مقدمة الكتاب مشيرا إلى أهمية الوحشية الفرنسية في الجزائر مما يجعل كل فرنسي يخجل من النظر إلى وجهه في المراة بسبب ما ارتكب من جرائم يندى لها جبين البشرية، ومعتزفا بأن فرنسا سلبت الجزائريين كل شيء حتى اللغة، وأخيرا إسكانهم على مشارف الصحراء، ومما ذكر صاحب الكتاب أنواع التعذيب بالكهرباء وبالماء والحرق بالنار والعقاقير المخدرة، وفنون التعذيب الكثيرة.⁽¹¹⁾

وفي مقال آخر للدكتور محمود السمرة علّق فيه على الكتاب آلان سافاري الذي جعل عنوانه: "ثورة الجزائر" وتحدّث فيه عن انطلاقة ثورة الجزائر، والتي دامت سبع سنوات وثمانية أشهر أربكت خلالها اقتصاد فرنسا، وجعلت العالم كلّه يسخر من حماقتها، ويثور لهذه القضية الإنسانية العادلة مؤيّداً وداعماً لها.

وقد اختار آلان سافاري عنواناً آخر لكتابه وهو "القضية الجزائرية والعظمة الفرنسية"، وتناول فيه:

1- أسس المشكلة الجزائرية.

2- الصعوبات القائمة أمام الدمج وأخطاره.

3- من الدمج إلى الاعتراف بحق تقرير المصير.

4- حلّ المشكلة الجزائرية.

وآلان سافاري كتب كتابه بعد تنقله في مناصب عدّة منها:

- أنّه انتخب نائبا عام 1951.

- وكيل وزارة الخارجية لشؤون مراكش وتونس.

واستقالته من منصبه 1959 احتجاجا على اختطاف بن بلاّ ورفاقه من قادة الثورة الجزائرية، وحاول من داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي أن يقاوم سياسة الحكومة تجاه الجزائر لكنه فشل نظرا لضعف ذلك الحزب آنذاك فانشق عنه وألف حزبا جديدا باسم الحزب الاشتراكي المستقل⁽¹²⁾.

وفي نوفمبر 1958م عندما لاحت بوادر موافقة فرنسا على منح الجزائريين حق انتخابات حرّة ذهب إلى الجزائر لكنه سرعان ما اكتشف زيف وبطلان ذلك؛ فرجع إلى فرنسا، وفي شهر ديسمبر من عام 1959م بدأ تأليف كتابه معتمدا على الإحصاء والتحليل العلمي، وعلى خبرته في العمل السياسي والمناصب التي تقلّدها.

أما عن أسباب نشوب الثورة الجزائرية عنده فهي:

- احتلال الجزائر عنوة وقهرا.

- محاولة إحالتها إلى أرض فرنسية

- تشجيع الهجرة إليها من الأوروبيين.

- حرمان الجزائريين من أراضيهم للغرباء.

- تفشي البطالة بين الجزائريين.

- إسناد الوظائف للأجانب.

- محاولة دمج الجزائر بفرنسا.⁽¹³⁾

وفي تحقيق صحفي آخر جاء في العدد السابع نشرت العربي اللقاء الكبير بين الشيخ عبد الله السالم الصباح وبين ضيفه الكبير فرحات عباس رئيس وزراء الجزائر، والذي عبّر عن سروره وفرحته بلقاء الزعيم الجزائري فقال له: "هذا لقاء كنّا دائماً ننتظره ونتمناه..."، وكانت ثلاثة أيام قضاها ضيف الكويت محاطاً بالتقدير والاحترام والتعظيم، وكانت فرحة حكام الكويت وشعبها أعظم ما تكون الفرحة ويكون الابتهاج، وكان هدف الزيارة إطلاع المسؤولين على المرحلة الحاسمة التي تجتازها ثورة الجزائر المظفّرة، والتوضيحات التي بذلها الجزائريون دفاعاً عن وطنهم ضدّ الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي أنفق عام 1958 ثمانمائة مليار فرنك فرنسي ولكن دون جدوى؛ فلم تفدها أسلحتها وهمجيتها وأسلحة حلف الأطلسي وتأبيده، ولم يفدها إنفاق ثلاثة ملايين فرنك يومياً على حرب لن تكون نهايتها لصالح العدوان والظلم لأنّ الله مع الجزائر وشعبها ومعها إخوتها من العرب والمسلمين، ومما قاله أمير الكويت مشكوراً: "إنّ شعب الجزائر مجاهد الباسل وصبره العجيب، وتضحيتهم بالأرواح وهي أغرّ ما يملك قد وضع على رأس كلّ عربيّ تاجاً يفخر به ويعتزّ، وسوف يجني هذا الشعب العظيم ثمرة جهاده وتضحيتهم عمّاً قريب بإذن الله".⁽¹⁴⁾

وفي حفل استعراض جيش الكويت أبدى زعيم الحكومة الجزائرية المناضل إعجابه بجيش الكويت فقال له زعيم الكويت: "إنّ جيشنا يفخر بنضال الشعب الجزائري الحبيب، ويقف مؤازراً له، فالجيش الكويتي جزء من جيش العروبة، أي أنّه جيشكم، وسيكون النصر حليف الشعب الجزائري العظيم".⁽¹⁵⁾

وفي أثناء الزيارة أدلى السيّد عباس فرحات بملحة العربي بتصريحات جوايبة على أسئلة مندوب مجلة العربي بيّن فيها مايلي:

- تكذيب مزاعم فرنسا أنّ حرب الجزائر مقتصرة على الجبال وليست في مناطق العمران.
- الحرب عند الجبهة متنوعة انتحارية ونظامية وضدّ مؤسسات العدو.⁽¹⁶⁾
- أنّ خسائر الفرنسيين مؤلّة وكبيرة وجنرالاهم يتحسّرون وبخاصّة الجنرال (ماسو) وهم لا يزالون يذكرون خسائرهم في مدينة قسنطينة ومعركة مدينة الأصنام (أورليونفيل) القريبة العهد.
- عدوّنا متوحّش ولكننا نكيل له ضربات موجبة.
- نتحاشى مهاجمته داخل المدن لكي لا يتخذ أبناءنا دروعاً بشرية لحمايته.
- لن تشيننا دعاياهم وافتراءهم بعدم تحقيقنا ما نريد وما نهدف إليه لأننا عقدنا العزم أن تحيا الجزائر، ونحن فزأ من التصريح الذي أدلى به جنرالاهم بأن المارك ستنتهي في ربع الساعة الأخيرة.⁽¹⁷⁾
- وحول سؤال حول التبرعات العربية وتواليها وزيادتها أو نقصها أجاب: هي متواصلة ولكنها دون المستوى المطلوب لأنّ معركتنا هي معركة موت أو حياة.⁽¹⁸⁾

وحول أساس المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير أجاب: لقد صرّحت حكومتنا مرارا استعدادها للتفاوض في بلاد محايدة وعلى أساس الاستقلال التام، ولكن تصريحات زعامة العدو لا تظهر رغبتهم في التفاوض، ولهذا لم نعر اهتماما لتصريحات الجنرال ديغول بوقف إطلاق النار أولاً، وباعت محاولاته اليايسة بالفشل.

وبالنسبة للبتروال الجزائري فقد قامت وحداتنا الانتحارية بمهاجمة معامل تكريره في داخل أراضي العدو بموسيليا، ونسفت قطارات العدو المحملة بالبتروال داخل الجزائر.

وأما عن اللّاجئين الجزائريين إلى تونس والمغرب فحالتهم بائسة وتعبة جدا. وبالرغم من مساعدات التونسيين حكومة وشعبا فإن أحوالهم غير مرضية.⁽¹⁹⁾

هذا وقد قدمت مجلّة العربي لقرائها تعريفا لفرحات عباس جاء فيه:

- ولد عام 1900م في بلدة طاهر بالجزائر، ترك الصيدلة اختصاصه ليدافع عن إخوانه ومواطنيه ضدّ الاستبداد والظلم والفقر والمذلة.

- ألف كتابا بعنوان "الجزائري الشاب".

- قدّم سنة 1942م بيان الأحزاب الجزائرية إلى الحلفاء مُطالباً باستقلال الجزائر؛ فاعتقله الجنرال كاترو وأبعده إلى جنوب صحراء الجزائر، وحدّد إقامته ثمّ سُجن سنة 1945ن، وأُفرج عنه سنة 1946م.

- ألف "حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" الذي أصبح دستورا للحزب فيما بعد.

- أصدر صحيفة "الجمهورية الجزائرية".

- انتخبه قادة الثورة في مؤتمرهم المنعقد سنة 1956م عضوا في المجلس الوطني للثورة، وكان إذ ذاك في أمريكا اللاتينية يدعو للقضية الجزائرية هناك.

- انتخب رئيسا لوزارة الجزائر الحرة يوم 19/09/1958م.⁽²⁰⁾

هذا وقد انتقل مندوب المجلة إلى أماكن تواجد قوات جيش التحرير ومعه مصوّرها، ووقف هناك على صور حيّة للمجاهدين والمجاهدات اللّواتي يحملن السلاح، ويقفن صفا واحدا مع الرجال الأبطال إسعافا ومشاركة في القتال، وإعدادا للطعام، وسهرا على المرضى والجرحى، وبدأ استطلاعه بالقول وبخط عريض: "سلام على إخواننا المجاهدين من أجل الحرية والاستقلال"⁽²¹⁾، وكانت له وقفات على التدريب الرياضي والانتظام في صفوف وراء العلم الجزائري، واستعمال أجهزة الاتصال اللاسلكية، واستعمال أجهزة المورس السريّة، والصلاة والتوجه إلى الله تعالى والدعاء بالنصر، وعرض لبعض الأسلحة التي بحوزة المجاهدين قديمها الذي يرجع إلى سنة 1914م، وحديثها الذي يتقنون استعماله⁽²²⁾

وقدمت العربي كتاب الوزير البريطاني السابق (أنتوني ناننج) الذي جاء تحت عنوان "منطقة البركان" بين فيه الانطباعات التي خرج بها بعد زيارته للجزائر وما شاهده قائلا فيه: "لقد خرجت من كل ما شاهدته في الجزائر مؤمنا بأن فرنسا إذا استمرت على سياستها الحاضرة هناك فإن الجزائر تضعيكلها من يديها، لأن الإجراءات العسكرية كما قال له المسيو شفالیه عمدة الجزائر- لا تكفي وحدها لأن قزم الوطنيين الذين كلما قتل منهم الفرنسيون الذين لهم نصف مليون جندي- عشرين أو ثلاثين من الثوار- سرعان ما يحل محلهم آخرون". (23)

وانتهى كاتب الاستطلاع إلى القول: "إن مجلة العربي تنشر في هذا الاستطلاع الصحفي عن حياة جيش التحرير في ذلك القطر العربي الحبيب صوراً رائعة لمعان رائعة تبعث من قلوب بحب الوطن والاستمسك بالعروبة عامرة، وهي صور تعرض في سبيلها المستطلع عشرات المرات لرصاص الفرنسيين آناً وأنا للوقوع في الأسر ومن ثم للاعتقال والتعذيب". (24)

وذكر أخيراً بأنه ليس من الصدفة أن يعلن قيام الجمهورية الجزائرية المستقلة، وتأليف حكومتها الحرة في القاهرة في نفس الوقت الذي كان ديجول يجري استفتاءه العجيب حول مصر الجزائر، وأن هذا الإعلان أقص مضاجع الساسة والعسكريين الفرنسيين، وأنه إذا مضى على فرنسا في الجزائر مائة وثلاثون عاماً فإن روح العصر تأتي إلى عودة الجزائر لأصحابها مخاطباً الجزائريين بالقول: "أيها المجاهدون العرب في الجزائر تحية لكم من إخوانكم العرب في كل مكان. وتحية إلى زعمائكم الخمسة المعتقلين "بن بلا" وزملاءه الذين سيظل اختطافهم أكبر شاهد على ما يتصف به الاستعمار من الغدر والخداع والنصر للعرب وإته لقريب". (25)

وفي مقالة مختصرة في صفحة مرآة الرأي العربي نقلت مجلة العربي ما جاء في مجلة "فرانس أويسرفاتور" الباريسية ما يتناقله أهالي حي القصبة بمدينة الجزائر حول المفاوضات السرية التي تجري بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وانعدام التفاؤل بنجاحها فهم يقولون: إن ديجول يقول للجبهة تعالي... فأنا أود أن أبيعك بقري... فتبادر الجبهة إلى القول: حسناً سأشتري بقرتك. ولكن المؤلم هو أن ديجول لا يملك البقرة... كما أن الجبهة لا تملك ثمنها...!

وكثير من الشخصيات المسؤولة في باريس لا تتردد في إظهار التشاؤم الشديد حيال مستقبل المفاوضات السرية الدائرة إما بسبب جهلهم تقلبات سير المفاوضات، واعتقادهم بأن جبهة التحرير لها مصلحة في إطالة الحرب بضعة أشهر أخرى لكسب امتيازات جديدة من الحكومة الفرنسية، وإما لعلمهم بعمق الهوة التي لا تزال تفصل بين وجهات النظر القائمة. (26)

وعلى الصفحة 32 من جهة العربي قصيدة مهاداة إلى المناضلة جميلة بوحيرد، وهي في السجن، من الشاعر السوري سليمان العيسى والتي قال لها فيها:

وأنت يا أسطورة الصحراء يا نداء *** ما زال في قلوبنا يفجر الضياء

يا نجمة الصبح التي يُمَتّ الصباح *** منذ اختفت في ظلمة السجون
ومرّت السّنون

وعرّست قوافل، وارتاح مد لجون

ولم يزل يبحث عن نجمته الصباح

تشرق النجوم.. وتورق الكروم

ويضحك الزنبق ملء السهل والأفاح

ما زلت يا صديقة الصحراء في الطريق

منارة خضراء.. أنشودة عذراء⁽²⁷⁾

والملاحظ أن مجلة العربي قد ثبتت هذه الأبيات تحت صورة جميلة بوحيرد كما وضعت صورها الملونة على غلاف المجلة تكريماً لها ولجهادها وموقفها البطولي كفنانة عربية في وجه المعتدي.

وفي كلمة رئيس التحرير حول وقف إطلاق النار جاء في الصفحة 3 من مجلة العربي قوله: ليس في أحداث العالم هذه الأيام حدث هو في الخطورة، بحيث ظلّ العالم ينتظره بنافذ الصبر كوقف إطلاق النار في الجزائر مع تمجيده للكفاح المسلح خلال سبع سنوات، والصمود البطولي الذي انتهى بالنصر المين.⁽²⁸⁾

وقد استعرض الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية المراحل التي أدت إلى سقوط الجزائر في أيدي المستعمرين الفرنسيين، وما آلت إليه السيطرة الاستعمارية وأعقبها إلى أن شاءت إرادة الله تعالى وإرادة الشعب صاحب البطولة التي يفخر بها كلّ عربيّ وكلّ مسلم مؤمن؛ فانتفض الجزائريون لإزالة استعمار ما عرف التاريخ مثيلاً له، وثاروا ثورة عارمة أقصّوا بها مضاجع المستعمرين والأوربيين القادمين إلى الجزائر رغبة في امتلاك الأرض وبسط النفوذ الاستعماري عليها حتى وصل الأمر ببعض فلاسفة فرنسا وحكامها ومسؤوليها وجنرالاتها إلى اعتبار الجزائر جزءاً تابعاً لفرنسا ولا سبيل إلى التخلّي عنها.

ويمكننا تلخيص المراحل كما كشف عنها الدكتور أحمد زكي بالآتي:

أ- اضمحلال الإمبراطورية العثمانية وتهدم أركانها حتى عرفت بالرجل المريض ثمّا جعل الأوروبيين يطمعون في السيطرة على أجزاء ذلك الجسم.

ب- القصة المفتعلة بين حاكم الجزائر آنذاك (عام 1827م) وقنصل فرنسا الذي وجّه كلمة جارحة إلى الحاكم مما أثار غضبه؛ فضربه بمنشسته على وجهه، واعتبرت فرنسا ذلك الحادث إهانة لفرنسا، وأدّى إلى الاحتلال طمعاً في ثروات الجزائر، وبخاصّة ما كان في ذاكرة وخاطر ملك فرنسا حول خزائن حاكم الجزائر وما فيها، والتي أودعت في سرايب القلعة؛ فزحف جيوشه لتحتل البلاد شراً شراً وسط مقاومة لم تعرف التوقف ولا التهادن.⁽²⁹⁾

ج- ما آلت إليه أحوال الشعب الجزائري المقاوم من فقر وحرمان وتسلط المعمرين الأوروبيين وسلبهم الأراضي الزراعية الخصبة لتوزع على الأوروبيين القادمين والمستقدمين تدفعهم أطماعهم ولم يبق للجزائريين إلا الجبال، ونتيجة لذلك انتشرت الأمراض والجهل، وأصبحت الوظائف مقتصرة على الأجانب، وبرغم كل الظروف السيئة اخططة بحياة الشعب إلا أن الضمائر الوطنية الحرة لم تكن راضية عما يقع ويجري رغم كل محاولات تفتيت العلاقات الأسرية وبثرة الأمة، وبث النعرات العرقية، ومحاربة اللغة العربية وإثارة الفتنة الشعبية، والتضليل الفكري وإشاعة انتماء الشعب الأمازيغي إلى العنصر الأوروبي ناسين ومتناسين بأن ما من قوم وأمم حاولت استعمار الجزائر إلا وكانت النهاية طردها وخروجها مدحورة مذلولة، وقد اقتلعت جذورها من البلاد إلى الأبد.

د- إطلالة الأمل بدء من مقالة الزعيم الراحل عباس فرحات الذي قال: "لو آتني وقعت على شعب يعرف بشعب الجزائر إذا لكنت وطنياً قومياً شعبياً... ولقد ساءلت الأحياء والأموات، وزرت المقابر فما دلّني ولا تحدّث إليّ في أمر هذا الوطن... كائن، وإنّ هذا الوطن لا وجود له..."⁽³⁰⁾

وكان قد كتبها سنة 1934م وهو في يانس من حال بلاده التي استشرت فيها الذئاب الجائعة، وكتبه باللغة الفرنسية⁽³¹⁾، وقد تعرّف على الفرنسيين عن قرب من خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية أين صدّ الجزائريون توغل الجيوش الألمانية عبر خط ماجينو، وحضر انتصار الحلفاء وعاش ذلك.

فأجابه المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس في قصيدة مشهورة له ومنها:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ *** وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ *** أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبُ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ *** رَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ
يَا نَشْءُ أَنتَ رَجَاؤُنَا *** وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبُ
وأهمل الأبيات قائلاً:

فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيِّحْتِي *** تَحِيَا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبُ⁽³²⁾

وأجابه مصالي الحاج بقوله: وهي الأرض المباركة التي هي أرضنا، هي أرض البركة، ليست للبيع ولا للمساومة، وهذه الأقوال الخالدة أعادوا لفرحات عباس صحوته وإدراكه بأن وطنه الجزائر وشعبها شعب الجزائر المسلم العربي الذي لا يقهر، والذي هزم أعنى قوّة عسكرية في العالم يومذاك.

وانطلقت الشرارة الأولى من أفواه شعب اصطف في موكب الاحتفال بعيد نصر الحلفاء على ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان فوج منهم يشكل جزء من الموكب الاحتفالي؛ فإذا بالنساء والرجال يهتفون بصوت واحد شقّ عنان السماء: عاشت الجزائر حرة - وليسقط الاستعمار، الإسلام ديني، والعربية لغتي، والجزائر وطني⁽³³⁾، وظهرت في الموكب أعلام الجزائر نصف أبيض ونصف أخضر وفي الوسط هلال ونجمة

حمراوين، وتقدم مفتش الشرطة الفرنسي آمرا يانزال الأعلام في غير جدوى، وسرعان ما انطلقت رصاصه من مسدس دوى صدها ألف ألف طلقة في أنحاء الجزائر وأرجائها، وتعالّت زغاريد النساء وصرخاتهن التي أفرغت الفرنسيين والأجانب، وأثارت غضبة الرجال الأحرار فتنادوا للجهد، ولم يوقفهم أو يشبههم عن الجهاد بطش الفرق الأجنبية والسقالية الذين قتلوا وهبوا كما ذكر المستر إدموند ستيفنسون في كتابه عن الثورة الجزائرية وسقط في تلك الجزائر 45 ألف مسلم جزائري⁽³⁴⁾، واعتبر أحمد زكي أنّ هذه الأحداث والجازر هي التي لمّت شمل البلاد معتبرا إياها الحادث الأكبر الذي تنادى فيه مصالي الحاج ورابطة العلماء المسلمين بزعامه رئيسها عبد الحميد بن باديس وأمينها أحمد توفيق المدني، وعباس فرحات، ويعقب أحمد زكي على مصالي الحاج فيعلن أن من الإنصاف القول بأنّ مصالي أدرك تمام الإدراك بأن لا بد من القوة والسلاح لطرد العدو مستشهدا بقول أبي تمام الشاعر العربي الذي يقول في قصيدته البائية:

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حدّه الحد بين الجد واللّعب
بيض الصفائح لاسود الصفائف في *** متوهم جلاء الشكّ والرّيب⁽³⁵⁾

فالحزب الذي أنشأه عام 1946م وسماه باسم "حركة الانتصار للحريّات الديمقراطية" (M.T.L.D) ما لبث أن انشق عنه فرع ثوريّ أسماه "المنظمة الخاصة" (O.S)، كان هدفها تحضير الخطط وتنفيذها في سبيل ثورة عامة تقوم على الفرنسيين، وقد اكتشف الفرنسيون هذه المنظمة سنة 1950م⁽³⁶⁾ وحاكموا زعماءها وحكموا عليهم، وكان من بينهم أحمد بن بلّا الذي هرب من سجنه 1952م والتحق بالقاهرة أين التقى هناك بمحمّد خيضر الذي سبقه إليها.⁽³⁷⁾

وينتقل أحمد زكي إلى ثورة مصر بقيادة جمال عبد الناصر التي أيدت ودعّمت الجزائريين بالسلاح والمال ويذكر مخطّة صوت العرب التي كانت صلة الوصل والاتصال بين الزعامات وقيادات جيش التحرير الوطني الجزائري، وفي القاهرة ولدت "جبهة التحرير القومية" التي تشير إليها الدنيا بالرمز F.L.N والتي قررت ترك الخصومات وراءها وكذلك التكتلات، وآمنت بالعنف سيّلا، وأن لا مناص من تقديم الدماء وصولا إلى الأهداف، وأوّل ما كشفت الجبهة عن نفسها في أول نوفمبر 1954 أين قامت بحوالي سبعين هجوم مسلح في ليلة واحدة، فأذهلت الفرنسيين وأرهبتهم⁽³⁸⁾، وتوالى الضربات على الجيش الاستعماري ومصالحه الحيوية، وجمعت الجبهة حولها أبناء البلاد، وكانت السنوات السبع للتحرير التي استشهد فيها الألوف، وقد أطلق الفرنسيون على المنظمة المنفّذة للعمليات القذائية اسم الإرهابيين⁽³⁹⁾ ناسين ومتناسين ما قاموا به من إرهاب خلال سنوات وسنوات على شعب أعزل غايته تحرير أرضه وإقامة دولته وإعلاء رايته.

ويذكر أحمد زكي أنّ من عادة الأوروبيين اتّهام أهل الشرق بالإرهاب ولكنهم ينسون بأنهم ما دخلوا أرضا واستعمروا شعبا إلّا بقوة السلاح ووسائل القتل والتدمير، والتاريخ يعلن بأن ما أخذ بالقوّة لا يُستعاد إلّا بالقوّة، وضرب مثلا بالدماء المصرية التي أزھقت من طرف الإنجليز، وكذلك دماء القبارصة في قبرص ومناطق

الاستعمار البرتغالي في إفريقيا وآسيا والبلجيكي والإيطالي، ويُبدى تعجبه من أن لا يكون لمن احتلّ مزرله وسُلبت أرضه حقّ الدفاع والذود عن الكرامة والملك والوطن قائلاً: "ألا بُعداً لها إنسانية ذليلة حقيرة، زائفة لا يرضى بمثلها وحوش الغاب، ورضى بها الأباغر من حثالات أقوام".⁽⁴⁰⁾

وتحت عنوان: زعامة نبتت من ميادين القتال يؤكد بأن الزعامة الجزائرية نبتت في ميادين القتال التي عرفت خلالها جفاء الحياة ومرّها وخطرها، وكانت يدا واحدة وصفا واحداً، وازدادت الوحدة بين الحاربين، وتعالّت الثقة وتوطّدت، فانتصروا⁽⁴¹⁾، وانتقل الدكتور أحمد زكي أخيرا إلى الصفّ العربي ووحدته وجامعته التي ستصبح الجزائر عضوا فاعلا فيها، وستتزعزع مركز ثقل العروبة من شرق الوطن العربي إلى مغربه، وسيجعل الوطن العربيّ أفريقيا وآسيا معا، وتكون الغلبة فيه لأفريقيا، وهذا سوف يكون خير العروبة جميعا في مشرقها ومغربها لاسيّما وأن الشمال الإفريقي هو أقرب إلى أصول المدينة الغربية وأكثر تأثراً بها، ويرى بأنّ الحياة في الدول الأربع من أغادير إلى سلوم مصر ستكون أسرع تطوّراً مما فيما بين غزّة ومسقط العمانية وأسرع كثيراً.

وانتهى إلى القول: إنّ تحرّر الجزائر كتحرّر المغرب وتونس وليبيا سيطلق شعوب هذه الدول العربية الأصيلة لتجري نحو التحرّر الأكمل من إصلاح حال وتدبير مال وإصلاح زراعة، واصطناع صناعة والأخذ من الحضارة الغربية لا بالكوب الصغير ولكن بالصالح الكبير: وفي كلّ ذلك قوّة للعروبة حيثما كانت، حقّق الله الآمال".⁽⁴²⁾

من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ كثيراً من المعلومات التي سردها الدكتور أحمد زكي واقعية ومطابقة لما جرى في الجزائر وحدث من أحداث، ولكن هنالك أمورٌ كثيرة ومعلومات حقيقية عن كفاح الأبطال أثناء الثورة المسلحة الظافرة والقاهرة للأعداء لم يأت على ذكرها لأنّه لم يعيش بين الثوّار والثائرات، وكانت مصادره مستقاة ومأخوذة عن المناضلين بدون تفصيل ولا تفاصيل، والشعب الجزائري يقدر جهود الأحرار الذين كتبوا عن الجزائر وحرّبوها الضروس ضدّ دولة كانت تعدّ من أقوى دول أوروبا يدعمها حلف شمال الأطلسي بكل ما لديه من وسائل التدمير والتخريب والتقتيل والإجرام. وعلى ذلك نقول رحم الله أحمد زكي لأنّه حاول بسط قضية الكفاح الجزائرية بأسلوب أجلى به حقائق يجب أن لا تغيب عن الأذهان العربية والجزائرية.

وليس الأسر للزعماء يُجدي.... أسرُ بن بلّا ورفاقه:

ذلك عنوان جعلته المجلّة لثحية الجزائر الثائرة وتذكيراً باختطاف أحمد بن بلّة وزملائه الأحرار من الطائرة التي كانت في طريقها من المغرب إلى تونس عام 1956م من خلال قصيدة للشاعر أحمد السقّاف الكويتي والتي جاء في بعض أبياتها:

قليلٌ أن أُرّفَ لكَ التَّجِلَّةُ *** وأنْ أشدو بفضلِكَ يا بنَ بلّة

فأنتَ البدرُ في فلك المعالي *** وصَحْبُكَ - لا عدمناهم - أهْلَة

وَعَلِمُكَ بِالْقَضَالِ شَفَى بِلَادًا *** رَمَاهَا الْأَجْنِيُّ بِكُلِّ عِلَّةٍ
فَنَارَتْ بَعْدَ طَوْلِ الصَّبْرِ حَرْبٌ *** لَظَاهَا أَفْقَدْتُ "مَوْلِيهِ" عَقْلَهُ
فَهَبَ إِلَى الْخَدِيعَةِ لَا يُبَالِي *** بِمَا تَلِدُ الْخَدِيعَةُ لَا أَبَالَهَ
تَوَحَّدَتِ الْمَشَاعِرُ فِي كِفَاحٍ *** فَرِيدَ لَمْ تَرَ الْغِبْرَاءُ مِثْلَهُ
وَقَدْ جَهِلَتْ فَرَنْسَا أَيَّ جَهْلٍ *** فَلَيْسَتْ ثَوْرَةُ الْأَحْرَارِ سَهْلَةً
وَمِنْ عَجَبٍ تَقَاتَلْنَا فَرَنْسَا *** وَكَانَتْ مِنْ فِتْنَى الْأُمَانِ نَعْلَةً
وَلَا لَوْمَ إِذَا غَدَرْتَ فَرَنْسَا *** وَمَنْ ذَا - لَا جَهْلَتْ - يُلُومُ نَذْلَهُ
وَلَيْسَ الْأُسْرُ لِلزَّعْمَاءِ يُجْدِي *** فَهَمٌّ فِي الْأُسْرِ لِلشَّوَارِ شُعْلَةً
وَنَحْنُ مَعَ الْجَزَائِرِ قَدْ وَقَفْنَا *** لِنُنْقِذَ حَقًّا الْمُسْلُوبَ كُلَّهُ⁽⁴³⁾

وفي كلمة للدكتور أمجد الطرابلسي منقولة عن "مجلة المعلم العربي" السورية، ونشرتها مجلة العربي في صفحة مرآة الرأي العربي قال: "عندما يهبّ الشعب الأعزل الصغير فينفض عن كتفيه طغيان مائة وخمسة وعشرين عاما، وعندما ينتصب هذا الشعب عملاقا أمام دولة تعدّ أكثر من أربعين مليونا يساندها مئات الملايين من أحلاف البغي والشرّ والعدوان، وعندما تستمرّ ثورة هذا الشعب أربع سنوات كاملة فلا يزيدها العسف والمثلة وتكالب أحلاف السوء إلّا غمّاً ومضاءً واحتراماً، وعندما تعبّر ثورة هذا الشعب البحار لتروّع العدو في عقر داره وتقضّ عليه مضجعه، وعندما تبلغ ثورة هذا الشعب عامها الخامس بعد أن جبلت تراب الوطن بدماء ثلاثة أرباع المليون من الشهداء، عندما تسمو ثورة شعبي العربي في الجزائر إلى هذه الذروة من التضحية والاستماتة ونكران الذات، تشعر الكلمة بعجزها فتختنق في أحشاء الصّدر بينما يخشع القلب وتغرورق العين وتحتي الهام أمام ضخامة الجهد وروعة البطولة.⁽⁴⁴⁾

ونجد في بريد القراء من العربي ص7 اعتراض السيّد حمد العيد الخطراوي الجزائري الذي يتابع دراسته الجامعية في كلية الشريعة بالرياض في العربية السعودية من أنّه لا توجد خريطة بالعربية للجزائر، ولذلك فإنّ العربي نشرت خريطة بالفرنسية في عدد سابق، وصحّح الطالب الجامعي هذا وقال: توجد للجزائر خريطتان بالعربية لحما ودما لا تجد فيهما أثرا للنقل عن الفرنسية⁽⁴⁵⁾ أما الأولى: فهي من وضع الأديب الجزائري الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني وزير الأوقاف حاليا في حكومة السيد أحمد بن بلّة - وأنّ لديه نسخة مثلها الآن - وأما الثانية فهي الخريطة التي كانت لدى الحكومة الجزائرية أثناء الثورة تجدها معلقة على جدران أيّ ممثلية للجزائر في البلاد التي لها فيها تمثليات وتستطيعون طلب نسخة مثلها من الحكومة.⁽⁴⁶⁾

ونجيه العربي بالقول: لعلكم قرأتم بالعدد 51 كتاب الأستاذ الكبير أحمد توفيق المدني وزير الأوقاف بالحكومة الجزائرية يهتّى فيه العربي، ويثني على الاستطلاع الذي نشرناه عن الجزائر، والذي قال فيه: "إنّه لم

يصدر إلى يومنا هذا في الوطن العربي بحث ملوّن مدعّم بالصور الطبيعية كهذا البحث الجليل، ولعلكم قرأتم ملاحظته عن الأسماء المخوّفة بالخرطة ووعده بتصحيحها، ورجاؤه أن نعيد طبع تلك الخريطة بعد تصحيحها، ونحن ما زلنا ننتظر التصحيح الموعود به لنعيد نشر الخريطة من جديد.⁽⁴⁷⁾

وفي الصفحة 7 تعليق لنجيب أحمد آغا من المغرب تعريف بما تعنيه كلمة (بلّة) وهو أنّها اختزال "عبد الله" عند البربر الناطقين بـ "الشلحة"، كما نشرت المجلة تعليقا مغربي من وجدة أكد فيه ما ذكره نجيب أحمد آغا وحتى أن بعض العائلات المغربية تسمّى ابن بلّة أو آيت بلّة وتعني ابن عبد الله. وهذه التعليقات تدلّ على مدى انتشار مجلة العربي في المغرب العربي وشعبيتها.⁽⁴⁸⁾

وفي تحقيق صحفي لمجلة العربي مع أول رئيس للبلاد عقب وقف إطلاق النار وتحقيق الاستقلال بعد 132 عاما من الظلم والاستبداد والخن والحرب والثورات التي لم تقطع والولايات التي حلّت بالشعب الصابر المكافح والطامح للاستقلال والحرية، والذي دفع بأكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء الأبرار الذين رويوا بدمائهم الزكية أرض البركان الهائج تحت وفوق رؤوس المستعمرين الفرنسيين. لخصّ الحقّق بجانب صورة ابن بلّا عبارات جاء فيها: كانت العربي أنيسي في وحدتي وسميري في أسري. الجزائر أغنى مما نتصوّر ولكن كنوزها دفيئة في باطن الأرض، مشروعات قدّر الاستعمار لتنفيذها عشرين عاما سنفيذها في عامين.⁽⁴⁹⁾

تجتاز الجزائر اليوم مرحلة هامة في تاريخها الحديث... مرحلة ما بعد الثورة. إنّ العالم كلّه يرقب هذه المرحلة من تاريخ الجزائر العربية المتحرّرة..

وقد أخذ يستعرض ما فعله المستعمرون من ادّعاء زعمائهم بأن الجزائر فرنسية وأنّها قتلت اللغة العربية وأحلّت محلّها الفرنسية، وأبعدت الجزائريين عن الوظائف، وجنّدت كل عناصر الشرّ لهذا، وحولت المساجد إلى كاتدرائيات وكنائس محاولة إبادة الشعب العربي لتصبح أرض آبائه وأجداده مزرعة كبرى للفرنسيين، وقد عرف الشعب كيف يعجّل بهذه النهاية، ودفع ثمنا لذلك مليون ونصف مليون شهيد من أبنائه الأبرار.⁽⁵⁰⁾

وفي شقّة عادية بالطابق الرابع من إحدى عمارات الأيبار في العاصمة كان استقبال ابن بلّا للصحفي سليم زبال الذي قدّم بعض أعداد العربي كهدية له، وفي غرفة الصالون وحول أقداح الشاي أخذ الرئيس يتحدث عن الجزائر ذاكرة طول الطريق، والمشاكل التي تعترضها، وإيمانه الراسخ بعزّة الجزائر ويقول: "ولكن الطريق أمانا طويل وهو ليس مفروشا بالورود والرياحين؛ فمشاكلنا كثيرة متعدّدة"، مضيفا ما تعرضت له البلاد من أعمال التخريب والتدمير، ومن التحكم الأجنبي في دخل البلاد القومي وجيش العاطلين عن العمل والأجنيين وما يتطلبه ذلك من عمل إيجابي وسريع وثورة اقتصادية واجتماعية ذاكرة بعض الحقائق ومنها:

- أنّ 80% من الدخل القومي بأيدي الأجانب، وأنّ الفرنسيين يملكون 80 فرنكا من كل مئة.

- وأنّ نحو مليون عاطل عن العمل من مختلف الأعمار.

- وأن الفلاحين المجاهدين يجب أن يحيا حياة كريمة لأن مساكنهم كلّها على الطراز القديم وفي رؤوس الجبال⁽⁵¹⁾، وهي تحتاج إلى الماء والكهرباء والمرافق العامة.
- لا بدّ من تخطيط شامل لجميع القرى وتحويلها إلى قرى تتلاءم مع مقتضيات العصر الحديث.
- توزيع 3 ملايين فدان على الفلاحين من أخصب الأراضي وتربة الجزائر خصبة ومن أحسن ما يكون لزراعة الفاكهة والحمضيات، ونحن ندرس اليوم مشروعات عدة لاستخدام المياه في الزراعة بدلا من أن تضع في البحر.⁽⁵²⁾
- وقدّر الزعيم عامين بدلا من عشرين عاما قدرها الأجانب لإنجاز المشاريع وعلى الخصوص منع انجراف التربة الخصبة إلى البحر.
- وقال: إنّ معركتنا القادمة طويلة، ولكنّ النصر سيكون فيها حليفنا ياذن الله.. إنّ هذه البلاد غنيّة بمواردها الطبيعية وكنوزها المعدنية المدفونة في باطن الأرض.. وهي كنوز أغنى مما يتصور الآخرون. فنحن ثامن دولة تملك الحديد عالميا وعندنا البترول.. وسيكون دخلنا منه 200 مليار فرنك.⁽⁵³⁾ وعندنا الغاز الطبيعي والفوسفات وغيرها.
- صحيح أن اقتصادنا يعتمد على الزراعة أولا وسنوليها اهتمامنا وعنايتنا، ولكنّا نعلم أنّ الزراعة وحدها لا تكفي، ولذا فسيكون للصناعة هي الأخرى جانب كبير من هذا الاهتمام وخاصة الصناعة التقليدية، وفي تعليقه على الشيوعية قال: هل تظنون أنه سيكون منها خطر على البلاد؟ ويجب قائلا: "ثورتنا كانت تحارب الاستعمار باسم العروبة والإسلام، والشعب الجزائري يعرف ذلك جيّدا، وكان موقفنا من الشيوعية واضحا منذ اللحظة الأولى وما يزال..."⁽⁵⁴⁾
- وانتهى قائلا: إنّ الطريق أمامنا طويل كما خلت ومعركة البناء التي نخوضها تجعلنا في حاجة إلى المساعدات والقروض...، إنّنا نحبّ أن نبدأ معركة العرب من هنا، ولا نريد أن يستهين الناس بنا ويقولون: "انظروا إلى ما صنعت إسرائيل"، بل نريدهم أن يقولوا: "انظروا ما يفعل العرب".⁽⁵⁵⁾
- بعد انتهاء معركة التحرير نشرت مجلة العربي استطلاعا مصوّرا للجزائر بعد الاستقلال قام به السيد سليم زبّال وصوره مصوّرها "أوسكار"، وجاء تحت عنوان "الجزائر تبدأ معركة البناء بعد انتهاء معركة التحرّر" واستهلّ تحقيقه ببعض أبيات النشيد الوطني الجزائري التالية:
- نحن جند في سبيل الحقّ ثرنا *** وإلى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغى لنا لما نطقنا *** فاتخذنا رتّة البارود وزنا
وعزفنا نغمة الرشّاش لحنا *** وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا⁽⁵⁶⁾

وانتقل بعد ذلك إلى ذكر الأماكن التي كان يقطنها الجزائريون في حي القصبة القديم حيث البيوت متلاصقة والشوارع ضيقة تواكبها القصور الكبرى للأجانب والمستعمرين، وكيف زالت تلك الأسماء الأجنبية عن الشوارع والطرق: ديزلي، ميشلي،⁽⁵⁷⁾ كارنو، بودان، بيجو، راندون شارتر وغيرها كثير، وحل محلها ديدوش مراد، وعبد القادر الجزائري، وعمار، ورمضان وابن مهدي.

وذكر بأن الجزائر لها من العمر الحقيقي 2823 سنة عرفت خلالها غزاة ومستعمرين أولهم القرطاجيون الذي جاؤوها عام 860 ق.م وبقوا فيها 714 عاما، ثم تلاهم الرومان الذين وصلوها عام 145 ق.م⁽⁵⁸⁾ ومكنوا فيها 584 عاما، وجاء بعدهم الفندال أو الوندال وحلوا بها عام 439 وبقوا 100 عام، ثم تبعهم البيزنطيون عام 528 ومكنوا 112 عاما حتى جاء العرب المسلمون عام 650م وأصبحت عربية إسلامية بعد تعربها، ثم عرفت البلاد حكم العثمانيين الأتراك عام 1516 أي بعد 865 عاما من العرب إلى أن جاءت قوى الشر والاستعمار والعدوان عام 1830م، ولم يتركوها ويتخللوا عنها إلا يوم 19 مارس 1962م بعد احتلال غاشم ظالم لمدة 132 سنة.

واليوم تدخل الجزائر المرحلة الثامنة من أوسع أبواب التاريخ كدولة مغربية جديدة المولد لم تكن أبدا في يوم من الأيام مستقلة.⁽⁵⁹⁾

وأعلن صاحب الاستطلاع والتحقيق عن انطباعاته بين ماض مضى وحاضر حلّ، واستقرّ ماض كان فيه النع على الجزائريين أن يتخطوا بعض الأماكن والسير فيها لأنها للأوروبيين وشوارع يمنع السير فيها ليلا، وأبواب تغلق من السادسة مساء حتى مطلع الشمس، وطلقات الرصاص تدوي وصفارات الإنذار تحذر، ثم كيف أصبح الحال بعد الثورة وانطلاقتها في أول نوفمبر أيام وسنوات عانى فيها الفرنسيون أكثر مما عانى الجزائريون، وكان للمنظمة السرية دورها في أنها أقصّت مضاجع الأجانب، وأدت بهم إلى العودة لأوطانهم تاركين كل شيء واليوم، وليس لمثل هذا يوم، الدكاكين والحوانيت والأسواق تعج بالناس والمشتريين والحياة طبيعية والنفوس فرحة، وجيش التحرير في أستعراض عسكري عقب النصر المؤزر، وفي الجزائر الحرة وزعماء الثورة يستعرضون جنود الانتصار، وبين الصور التي زينّت المقال مناظر الشاطئ العاصمي والعمارات المجاورة للشاطئ والتي كانت للمستعمرين، وصور المتاجر الجزائرية وما حوته من بضائع وبيع، والميناء الذي يعج بالسفن، والشوارع العاجّة بالناس إذ كل شيء قد تغير بعد تحقيق نعمة الاستقلال.⁽⁶⁰⁾

وأشار إلى أن الحكومة الجزائرية أصدرت قانونا ينصّ على أن كل من لا يعود من الفرنسيين إلى الجزائر خلال موعد أقصاه 7 أكتوبر 1962 ستؤول أملاكه وأمواله للحكومة الجزائرية، وأنه عاد البعض، وبقي الآخرون في مرسيليا خوفا من الانتقام، والأغرب هؤلاء منهم الاسباني ومنهم الإيطالي الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية بمجرد الوصول إلى الجزائر المستعمرة⁽⁶¹⁾، ويصرّح له أحد أبناء الجزائر قائلا: لقد كان همّ فرنسا الأول أن تقتل فينا الروح العربية، حتى أن عدد الطلاب الجزائريين في المدارس لم يكن إلا ربع

الدارسين.⁽⁶²⁾ ولم تخلُ الصفحات من صور للزعيم أحمد بن بلة في بعضها يفكر وفي الأخرى يتأمل، وفي أخرى صورة لأبناء الشعب وفيها المرأة الجزائرية في حجابها (الحايك الأبيض)⁽⁶³⁾، وإشارة إلى الفتيات السافرات مع الإشارة إلى انعدام الحجاب في وهران والعاصمة مع تعليق على أول مجلس تأسيسي يضم 195 عضوا منتخبين من طرف الشعب في 20 سبتمبر 1962 برئاسة عباس فرحات، وعقد أول جلساته في 15 نوفمبر 1962، ومهمته وضع دستور للبلاد خلال عام من تاريخ انتخابه، ويضم من بين أعضائه 16 فرنسيا بموجب اتفاقية إيفيان كما يضم 11 سيدة وآنسة مع الإشارة إلى حضور الرئيس بن بلة جلساته موليا اهتمامه بهذا المجلس ومعه وزير الدفاع هواري بومدين.⁽⁶⁴⁾

وفي حديثه عن اتحاد نساء الجزائر اللواتي صوّرن منهن البعض ولاسيما المجاهدات والخبائبات ومن حكم عليهن بالإعدام من الفرنسيين، ووقف العالم معهن حتى أوقف تنفيذ الحكم، ومنهن "باية حسين" أصغر محاربة وعمرها 16 سنة عند الاعتقال والتعذيب لأنها وضعت قنبلة تحت المتفجرين في استاد رياضي، "وزاهية خير مال الله" التي فجرت قنبلة في مقهى الأوتوماتيك، و"عكرور جوهر" زميلة باية ورفيقتها في وضع القنبلة و"جاكولين جيروج" التي اعتقلت مع زوجها عبد القادر وصورة للفرنسية "إيفلين هلمان" التي جمعت 200 مليون فرنك و13 ألف غلبة حليب و3 أطنان ملابس و5 آلاف حذاء عام 1959 لمساعدة الجزائر وشعبها البطل،⁽⁶⁵⁾ وزين المصور صفحات المجلة بعدة صور للمقاهي والشوارع والساحات العامة ومتحف "ستيفان قزبل" وشارع الجمهورية المطل على البحر بأبنيته الضخمة التي تضاهي مباني أعظم المدن الفرنسية.⁽⁶⁶⁾

وتحدث الكاتب عن إحصائيات حول عدد الفرنسيين في الجزائر، وأنهم مليوناً وقرابة 43 ألفاً منهم 983 ألف فرنسي، والباقي إسبان وطلينان على أن غالبيتهم هاجرت ولم يبق منهم سوى 200 ألف نسمة تقريبا، وأن عدد الجزائريين عام 1830 لم يكن يزيد على 2 مليون نسمة⁽⁶⁷⁾ في أرض مساحتها 2.321.740 كلم مربع. وفي إشارة منه إلى لغة الأرقام حول ما تركه المستعمرون وخلفوه وراءهم فقد ذكر وزير الأوقاف توفيق المدي أن الفرنسيين لم يتركوا إلا بلادا خربة وإدارة تالفة⁽⁶⁸⁾، ومما تشير إليه الإحصائيات أن الجزائر كانت تستورد ما قيمته 219 مليار فرنك منها 180 مليار من فرنسا، كما كانت تصدر ما قيمته 140 مليار فرنك منها 114 مليار لفرنسا، وأهم الصادرات كانت الحبوب الجزائرية من خلال أنابيب طولها 2 كلم إلى الناقلات بمعدل 100 ألف لتر في الساعة الواحدة لكل باخرة⁽⁶⁹⁾ والحديد والفوسفات والبترو.

وفي صور فوق هذه المعلومات بعض الأطفال اليتامي الذين خلفتهم حرب التحرير الظافرة وعجزة يتلقون الاهتمام والعناية من طرف نساء الاتحاد الجزائريات.⁽⁷⁰⁾

وانتهى الكاتب إلى القول: إنّ الصورة التي يخرج بها المرء من الجزائر هي صورة تفاؤل، إنها بلد يجمع بين مزايا الرغبة في التقدم ومتاعب التأخر، وإنّ الغاز الذي بدأ يتدفق عبر أنابيب إلى البيوت وبأسعار رخيصة سيجعل بحوزة الجزائر أرخص "حصان بخار" في العالم، وإذا أضفنا رخص الأيدي العاملة ووفرة المواد الخام فإنّ

المستقبل لجيل مشرق سينقل الجزائر من بلد متخلف إلى بلد صناعي إلى بلد مصدر. إن الأرض نفسها ستتحول والصحراء ستصبح أرضاً زراعية ينعم بخيراتها ابن الجزائر بعد أن كان ينطبق عليه قول الشاعر:
كالعيس في الصحراء يقتله الظمأ *** والماء فوق ظهورها محمول⁽⁷¹⁾

وهكذا نرى بأن الاستطلاع الذي قامت به المجلة كان شاملاً كاملاً موشحاً بالصور والتعليقات في مسح شامل لكل ما يمكن رؤيته ومعرفته عن الجزائر والكشف عنه؛ فجزى الله القائمين على المجلة كل خير، وصدق أميرها المرحوم الشيخ عبد الله الجابر الصباح حاكم الكويت عندما قال للزعيم المناضل عباس فرحات أثناء زيارته للكويت كرئيس للحكومة في المنفى: "اعتمدوا علينا دائماً فنحن معكم في السراء والضراء"⁽⁷²⁾، وهذه هي صورة رائعة من صور الشهامة العربية التي يتحلى بها الزعماء العرب المخلصون.

على أن مجلة العربي تركت المجال في أعدادها لأبناء العروبة والكويت ليكتبوا وينشروا فيها ما جاشت بها قريحتهم نحو الجزائر المستقلة ونضالها، ومن ذلك قصيدة للشاعر أحمد السقّاق عبّر فيها عن فرحة الكويتيين بولادة دولة الجزائر المستقلة، ونضال شعبها الذي ضرب المثل الأعلى في التضحية والفداء إلى أن حقق النصر المؤزّر والمؤيد من الله تعالى والأمة العربية والإسلامية؛ فقال في بعض أبياتها المختارة:

طلع الفجر على رغم غدانا *** وانجلي الليل وولّى عن حمانا
ومسحنا دمة قد طفرت *** من مآق ييست منها زمانا
وهتفنا للبطولات التي *** لم تجد في غير مثوانا مكانا
سائلوا أوراس عنها حينما *** سدّت الأفق لهما ودخانا
وتبارى للردى أبطلها *** يدفعون العار عنا والهوانا
لم ير التاريخ في أدواره *** مثل هاتيك الوغى حربا عوانا
ومضت سبع وما من ثائر *** ملّ للهيجاء ضربا وطعانا
ورمى جيش فرنسا حقهده *** يطلب النصر ولو نصرا جبانا
فتحدّته أسود أقسمت *** أن ترى الباغي مدحورا مهاناً
فإذا بالتصر قد لاح لها *** وإذا (إفان) تعطيه الأوانا
وصلاح الدين من مقبره *** قدّم التاج لها والصولجانا

وجعلت مجلة العربي هذه الأبيات وما بقي من القصيدة التي بلغت 22 بيتاً بين صور لأحمد بن بلا وهو يتسم ابتساماً عريضة تعبّر عن الفرحة بالاستقلال، وعلى أنه أول رئيس للجزائر بعد النضال والاستقلال، وصور جنود جيش التحرير الوطني في جبال الأوراس الأشم، وما جاء في الصفحة 7 من العدد 42 الإشارة إلى إدخال أبناء الجزائر مجاناً في مدارس الكويت الثانوية والابتدائية، وأن مجموع التبرعات الحكومية والشعبية

قد بلغت 15 مليون دولار أمريكي، وأن بعثة طبية كويتية مع كامل المعدات قد ذهبت إلى الجزائر لتقديم المعونة الطبية لشعبها الباسل الذي أنهكته حرب السنوات السبع.⁽⁷³⁾

الهوامش:

- (1)- أنظر في ذلك على سبيل المثال فقط: منير منصف هوشي منه صانع الحلوى الذي قاد الثورة في فيتنام، العربي- العدد: 164- مجاهدى الأولى 1392 هـ/ يوليو 1972 م- ص 88 وما بعدها.
- (2)- رجال وأفكار، الدكتور أحمد زكي 1958-1975م، العربي سيرة مجلة- وزارة الإعلام مطبعة حكومة الكويت.
- (3)- نفسه (أحمد بهاء الدين 1976-1982)، ص- 19.
- (4)- نفسه الصفاة- الكويت- ص- 18.
- (5)- نفسه (الدكتور سليمان إبراهيم العسكري- ص 20-1999م إلى يومنا هذا)- ص- 21.
- (6)- أحمد زكي- مركز الثقل تزحزح من مشرق الوطن العربي إلى مغربه وفي هذا الخير للعرب حيثما كانوا- الجزائر العربي- العدد: 42.
- (7)- يقصد الأستاذ زبال صاحب أول استطلاع تقوم به مجلة العربي بعد استقلال الجزائر تحت عنوان الجزائر تبدأ معركة البناء... بعد انتهاء معركة التحرر أن الجزائر عمرها 2823 عاما وإذا أرادت التفاصيل باختصار فالبلدية يجب أن تكون في رأيه هكذا، القرطاجيون جاءوها عام 860 ق.م. ومكنوا فيها 714 عاما والرومان وصلوا عام 145 ق.م. ومكنوا 584 عاما والوندال حطوا رحالهم عام 439 م وظلوا 100 عام وتبعهم البيزنطيون الذين جاءوا عام 538 ومكنوا 112 عاما وجاءها العرب عام 650 مو بذلك أراد الكاتب أن يبين عراقة الأمة الجزائرية القديمة قدم التاريخ والتي لم يفت في عضدها استعمار واحتلال عبر التاريخ الطويل بل صمدت وأثبتت وجودها ومكانتها في التاريخ قديمه وحديثه.
- (8)- المصدر السابق نفسه.
- (9)- نفسه.
- (10)- المصدر السابق نفسه- ص 160.
- (11)- نفسه- ص 160-161.
- (12)- الدكتور محمد السمرة- نقد كتاب الشهر- ثورة الجزائر: آلان سافاري- العربي- العدد- 36- ص 128-129.
- (13)- المصدر السابق- ص- 13.
- (14)- زعماء الجزائر في الكويت- أمير الكويت يقول لهم "اعتمدوا علينا دائما ففتح معكم في السراء والضراء"- ص- 12.
- (15)- نفسه.
- (16)- فرحات عباس يتحدث إلى العربي- نحن نعرف متى... وكيف ندير المعركة- العربي- العدد: 7- ص- 14.
- (17)- المصدر السابق نفسه.
- (18)- نفسه- ص- 15.
- (19)- نفسه.
- (20)- نفسه.
- (21)- تحية إلى جيش التحرير الجزائري- العربي- العدد: ص- 10-11- «استطلاع وتحقيق صحفي مصور مع جيش التحرير الجزائري في ميدان القتال، ولماذا فشل نصف مليون جندي فرنسي في القضاء على الثورة».
- (22)- يوم كامل مع شباب جيش التحرير الجزائري الباسل- "نفسه" ص- 12-13.
- (23)- المرجع مجلة العربي العدد السابع ص 15.
- (24)- لماذا فشل نصف مليون جندي فرنسي من إخماد الثورة الجزائرية؟ "نفسه"- ص- 14-15.
- (25)- نفسه- ص- 16.
- (26)- عقبات في طريق المفاوضات- مرآة الرأي الغربي- مجلة "فرانس أويسرفاتور" باريس- العربي- العدد: 42- ص؟.

- (27) - سليمان العيسى - جملة بوحيدر في السجن - العربي - العدد: 42 - ص - 33.
- (28) - الخور - عزيزي القارئ - العربي "المصدر نفسه" - ص - 3.
- (29) - أحمد زكي - الجزائر - العربي - العدد: 42 - ص - 8-9.
- (30) - نفسه - ص - 10.
- (31) - نفسه.
- (32) - عبد الحميد بن باديس تحية المولد الكريم الشهاب - يونيو 1937 م (الجزائر).
- (33) - أحمد زكي - المصدر نفسه - ص - 10.
- (34) - نفسه - ص - 11.
- (35) - نفسه.
- (36) - نفسه.
- (37) - نفسه - ص - 12.
- (38) - المصدر السابق نفسه - ص - 12.
- (39) - نفسه - ص - 13.
- (40) - نفسه - ص - 14.
- (41) - نفسه.
- (42) - نفسه - ص - 15.
- (43) - أحمد السقاف - الكويت - تحية إلى الجزائر الصّامدة - وليس الأسر للزعماء يجدي العربي - العدد: 7 - ص - ؟.
- (44) - الدكتور أمجد الطرابلس - ثورة الجزائر - نقلتها مجلة العربي - العدد: 7 - ص - ؟. عن مجلة "المعلم العربي" الدمشقية.
- (45) - محمد العيد الخطراوي - بريد القراء - خريطة الجزائر العربي - العدد: 6 - ص - 6.
- (46) - المصدر السابق نفسه.
- (47) - نفسه.
- (48) - السباعي محمد عبد الله - "بن بلة" أي ابن عبد الله - المصدر نفسه - ص - 7.
- (49) - سليم زبال - بن بلة يتحدث إلى العربي - العربي - العدد: 50 - ص - 13-14.
- (50) - نفسه - ص - 14-15.
- (51) - نفسه - ص - 15.
- (52) - نفسه - ص - 16.
- (53) - المصدر السابق نفسه - ص - 16.
- (54) - نفسه - ص - 17.
- (55) - نفسه.
- (56) - أعراف وطلب أيها العربي - الجزائر تبدأ معركة البناء.. بعد انتهاء معركة التحرّر العربي - ص - 68.
- (57) - نفسه - ص - 69.
- (58) - نفسه - ص - 70.
- (59) - نفسه - ص - 71.
- (60) - نفسه - ص - 72 وما بعدها.
- (61) - المصدر السابق - ص، ص، 82، 83.
- (62) - نفسه - ص - 84.
- (63) - نفسه - ص، ص، 80، 81.

- (64) - نفسه - ص - 87.
- (65) - نفسه - ص، ص 88، 89.
- (66) - نفسه - ص، ص 90، 91.
- (67) - نفسه - ص 92.
- (68) - نفسه - ص 92.
- (69) - نفسه - ص 96.
- (70) - نفسه - ص، ص 96، 97.
- (71) - المصدر السابق نفسه - ص 97.
- (72) - زعماء الجزائر في الكويت.. مصدر سابق - ص 11.
- (73) - أحمد السقاف - العربي - العدد: 42 - ص 16، 17.